فصـــل
في صفة المجاهدين في سبيل اللَّه تعالى، وشعار الطائفة المنصورة إلى يوم القيامة

قال الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: 23].

الثبات على الحقِّ، والمثابرة عليه صفة أهل الله تعالى وخاصَّته. أينما وجدوا، حيثما كانوا وحلُّوا أو ارتحلوا، هُمْ، هُمْ. لا يتغيرون ولا يتبدلون.. ولا ينحنون إلا للَّه العزيز الجبار.

دأبهم إظهار الحق وإعلائه. وديدنهم الدفاع عن الإسلام مهما كانت التضحيات. فهم للَّه تعالى خُلِقُوا.. ولله تعالى يعيشوا وفي سبيله يموتون.

شعارهم: رضى الله.. وصفتهم: رجال الله.. واعتمادهم وتوكلهم على الله.. ومددهم من الله.. ونصرتهم من عند الله. في الليل رهبانٌ... وفي النهار فرسان. لا يضرهم ولا يثنيهم من ناوأهم أو خذلهم...

فهم في درب الجهاد ماضون.. وفي طريق الحق سائرون.. لا تلهيهم تجارة ولا زوجة ولا ولد عن بغيتهم، ولا عن أمنيتهم.

وضعوا نَصْبَ أعينهم مرضاة الله تعالى، فهم لذلك يعملون، وبجدٍّ واهتمام يبنون.. رغم أنف من كابدهم أو حاربهم أو قاطعهم.

نذروا أنفسهم لله.. وضحوا بها رخيصة في سبيل مرضاته وإعزازِ دينه. تراهم أزهد الناس بدنيا، وأبعدهم عنها رياءً وسمعة. الصدق لسانهم.. والتقوى ديثارهم. والخشوع مُحيَّاهُم.

السلاح حُليهم.. والاغتسال بدمائهم طهرتهم.. والزواج من الحور العين أعراسهم. وفي الجنة زفافهم.. وفي حواصل طير خضرٍ مسكنهم... وفي الكرم الإلهي منتهى رحلتهم.

فيا له من فوز عظيم نالوه.. وبفضل جوَّادٍ كريم أُعطوه، فحيهلا أخي الكريم أمدد

يدك لتبايع رباً قديراً، وتهب روحك للخالق العظيم، لعلك تحظى برفقة سيد ولد آدم أجمعين. . رسولُ اللهِ مُحمَّدٌ الأمين ـ عليه من الله أتمَّ صلاة وتسليم ـ في الفردوس الأعلى وتصحب من معه من النَّبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. اللّهم آمين.

- **روى** الإمام أحمد (20367) والترمذي (2192) والطيالسي (1076)، وغيرهم، بإسناد صحيح على شرط الشيخين، واللفظ لأحمد من حديث معاوية بن قُرَّة، عن أبيه، قال:

قال رسولُ الله ﷺ: «إذا فَسَدَ أَهْلُ الشَّام، فلا خير فيكُمْ ولا يزالُ أُنَاسٌ من أُمَّتي مَنْصُورينَ لا يُبَالُونَ من خَذَلَهُمْ حتَّى تَقُومُ السَّاعَةُ».

- **وروى** البخاري (3640) ومسلم (1921)، وغيرهما من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«لَنْ يَزَالَ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ، حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ، وَهُمْ ظَاهِرُونَ»** لفظ مسلم.

- **وروى** البخاري (3641) ومسلم (1037)، وغيرهما واللفظ للبخاري من طريق ابن جابر، قال: حدثني عُمير بن هانيءٍ، أنه سَمِعَ معاوية رضي الله عنه، يقول: سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يقول: **«لا يزالُ مِنْ أُمَّتي، أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بأَمْرِ اللهِ، لا يَضُرُّهم مَنْ خَذَلَهُمْ، ولا من خَالَفَهُمْ، حتَّى يَأْتِيهِم أَمْرُ اللهِ وهم على ذٰلِكَ».**

قال عُمير: فقال مالكُ بن يُخامر: قال معاذٌ رضي الله عنه: **«وَهُمْ بالشَّام».**

فقال معاوية: هذا مالكٌ يزعم أنه سَمِعَ مُعاذاً يقول: **«وَهُمْ بالشَّام».**

- **وروى** الإمام أحمد (22466) ومسلم (1920) والترمذي (2229)، وغيرهم من حديث ثوبان رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ. لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ. حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذٰلِكَ»** لفظ مسلم.

- **وروى** الإمام أحمد (12041) ومسلم (1922) وغيرهما من حديث جابر بن سَمُرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ: **«لَن يَبْرَحَ هٰذَا الدِّينُ قَائِماً، يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ».** لفظ مسلم.

- **وروى** مسلم (1923)، وغيره من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، يَقُولُ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقولُ: **«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، ظَاهِرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ».**

العصابة المؤمنة حول دمشق الشام وأكناف بيت المقدس

- وروى أبو يعلى (6417) والطبراني في «الأوسط» (47/ 1) بإسناد حسن، واللفظ لأبي يعلى، من طريق أبي صالح الخولاني عن أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: «لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَىٰ أَبْوَابِ دِمَشْقَ وَمَا حَوْلَهُ، وَعَلَىٰ أَبْوَابِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَمَا حَوْلَهُ، لَا يَضُرُّهُمْ خُذْلَانُ مَنْ خَذَلَهُم ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الْحَقِّ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ».

- ورواه الطبراني في «الأوسط» (7948/ 7) أيضاً، من طريق نصرِ بنِ علقمةَ، عن عُميرِ بن الأسودِ، وكثيرِ بن مرةَ.

عن أبي هريرة، أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «لا تَزَالُ عِصَابةٌ من أُمَّتِي قَائِمةً على أَمْرِ اللهِ، لا يَضُرُّها مَن خَالَفَها، تُقَاتِلُ أَعْدَاءَها، كلما ذَهَبَتْ حَرْبٌ نَشِبَتْ حربُ قومٍ آخرينَ، يرفعُ اللهُ قوماً ويرزقُهم منه، حتَّى تَأْتِيهِمُ الساعةُ». ثم قال سرلُ اللهِ ﷺ: «هُمْ أَهْلُ الشَّامِ».

- وروى الإمام أحمد (22320) والطبراني في «الكبير» (7643)، بإسناد حسن، من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلىٰ الدِّيْنِ ظَاهِرِيْنَ لِعَدُوِّهِمْ قَاهِرِيْنَ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خالفهم إِلَّا ما أَصَابَهُمْ مِنْ لأْوَاءٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ الله وَهُمْ كَذَلِكَ».

قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: «بِبَيْتِ المَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ المَقْدِسِ»[1].

واللأواء: التعب والنصب والمشقة والشدة.

عـزٌ وكرامـة:

- روى الإمام أحمد (14726) ومسلم (156) وابن منده (418)، وغيرهم واللفظ لمسلم من طريق أَبِي الزُّبير، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْن عَبْدِ اللهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا. فَيَقُولُ: لا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ. تَكْرِمَةَ اللهِ هٰذِهِ الأُمَّةَ».

---

(1) والحديث أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (12248)، وعزاه لأحمد والطبراني، وقال: ورجاله ثقات.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا فسد أهل الشام..» فيه فضيلة عظيمة، ومنقبة جليلة لأهل الشام من المسلمين. ذلك أنهم أهل رباط إلى قيام الساعة. وفيه معجزة باهرة للنبي ﷺ حيث أنه عندما أخبر بهذا الحديث لم تكن الشام قد فتحت بعد.

وخطاب النَّبي ﷺ يَعُمُّ المسلمين إلى قيام الساعة وعلى وجه الخصوص أهل الإيمان من جزيرة العرب ـ لنزول الرسالة بين أظهرهم وبعثة النبي ﷺ في أرضهم. ولقربهم من أهل الشام ومعرفتهم بأحوالهم، ومكابدتهم لصنوف الفتن والأهواء. ولعلمهم بجهادهم، وقوة ربطهم في بلادهم.

وفيه الحثّ على مساندة أهل الشام ومُآزرتهم، ودعم جهودهم، وجهادهم وصمودهم في وجه ما يتعرضون له من مناوءة ومناكفة ومعاداة، وحربٍ دائمة عليهم من قبل اليهود والصليبيين والرافضة ـ قاتلهم الله جميعاً ـ فهؤلاء هم طليعة المجاهدين، ورأس حربة المؤمنين، وشوكة مسمومة في أعين الكافرين. وها هو الواقع يشهد لذلك. وكيف أن صدورهم مشرَّعة بوجه أعداء الدين!

وأما قوله ﷺ: «فلا خير فيكم» ففيه التصريح بعدم الخيرية بالمسلمين إن هم تخاذلوا عن نصرة إخوانهم في الشام ـ وربما خرجوا من هذا القول النبوي من دائرة قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110] فإن تقاعس المسلمون ـ وعلى وجه الخصوص أهل جزيرة العرب ـ عن نجدة إخوانهم في العقيدة والجهاد في البلاد الشامية تجاه أعداء الدين لإعلاء كلمة الله تعالى، فعندئذٍ ينطبق عليهم قوله ﷺ: **«فلا خير فيكم»** ذلك أن الخير كل الخير في تعاون المسلمين وتعاضدهم في كل الأصعدة والوجوه مادية كانت أم معنوية.

وأما قوله ﷺ: «ولا يزال أناس من أمتي منصورين لا يبالون من خذلهم حتى تقوم الساعة».

قال الإمام البخاري رحمه الله: وهم أهل العلم وأخرج الحاكم في «علوم الحديث» بسند صحيح عن أحمد بن حنبل رحمه الله قوله: إن لم يكونوا أهل الحديث، فلا أدري من هم؟ ذكره الحافظ في «الفتح» (15/ 227). وقال القاضي عياض رحمه الله: إنما أراد أحمد، أهل السُنَّة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث.

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح صحيح مسلم» (6/ 545): ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين: فمنهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم

محدثون، ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض، وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة، فإن هذا الوصف ما زال بحمد الله تعالى من زمن نبي الله ﷺ إلى الآن ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث.

وتوسَّع الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (5/ 229 ـ 230)، قائلاً: قال النووي فيه أن الإجماع حجة، ثم قال يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين، ما بين شجاع وبصير بالحرب وفقيه ومحدث ومفسر وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وزاهد وعابد، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد وافتراقهم في أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد وأن يكونوا في بعض منه دون بعض، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم أولاً فأولاً إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد فإذا انقرضوا جاء أمر الله، انتهى ملخصاً مع زيادة فيه.

ونظير ما نبه عليه ما حمل عليه بعض الأئمة حديث «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**» أنه لا يلزم أن يكون في رأس كل مائة سنة واحدة فقط بل يكون الأمر فيه كما ذكر في الطائفة وهو متجه، فإن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوع من أنواع الخير، ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها في شخص واحد، إلا أن يدعى ذلك في عمر بن عبد العزيز.

فإنه كان القائم بالأمر على رأس المائة الأولى باتصافه بجميع صفات الخير وتقدمه فيها؛ ومن ثم أطلق أحمد أنهم كانوا يحملون الحديث عليه، وأما من جاء بعده فالشافعي وإن كان متصفاً بالصفات الجميلة، إلا أنه لم يكن القائم بأمر الجهاد والحكم بالعدل.

فعلى هذا كل من كان متصفاً بشيء من ذلك عند رأس المائة هو المراد سواء تعدد أم لا.

قال ابن حجر: وقوله ﷺ: «حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون» أي على من خالفهم أي غالبون، أو المراد بالظهور أنهم غير مستترين بل مشهورون والأول أولى، وقد وقع عند مسلم من حديث جابر بن سمرة «**لن يبرح هذا الدين قائماً تقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة**» وله في حديث عقبة بن عامر «**لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة**».

وقوله ﷺ: «حتى تقوم الساعة» وفي الرواية الأخرى: «حتى يأتيهم أمر الله» فقد جاء معناه مُفسراً عند أحمد (16929) ومسلم (1924) وغيرهما، واللفظ لمسلم من طريق عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ شُمَاسَةَ المَهْرِيُّ. قَالَ: كُنْت عِنْدَ مَسْلَمَةَ بْنِ مُخَلَّدٍ، وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَىٰ شِرارِ الْخَلْقِ. هُمْ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ. لَا يَدْعُونَ اللهَ بِشَيْءٍ إِلَّا رَدَّهُ عَلَيْهِمْ.

فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَىٰ ذٰلِكَ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ. فَقَالَ لَهُ مَسْلَمَةُ: يَا عُقْبَةُ، اسْمَعْ مَا يَقُولُ عَبْدُ اللهِ. فَقَالَ عُقْبَةُ: هُوَ أَعْلَمُ. وَأَمَّا أَنَا فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلونَ عَلَىٰ أَمْرِ اللهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ، وَهُمْ عَلَىٰ ذٰلِكَ»**. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: أَجَلْ. ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحاً كَرِيحِ الْمِسْكِ. مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ. فَلَا تَتْرُكُ نَفْساً فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ. ثُمَّ يَبْقَىٰ شِرَارُ النَّاسِ، عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ.

أقول: وروى مسلم (117) والبخاري في «التاريخ الكبير» (5/ 109) وغيرهما، واللفظ لمسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، حدثنا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ الضَّبِّيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ وَأَبُو عَلْقَمَةَ الْفَرْوِيُّ. قَالا: حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ سُلَيْم، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْن سَلْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ رِيحاً مِنَ الْيَمَنِ، أَلْيَنَ مِنَ الْحَرِيرِ، فَلَا تَدَعُ أَحداً فِي قَلْبِهِ** (قَالَ أَبُو عَلْقَمَةَ: **مِثْقَالُ حَبَّةٍ**. وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: **مِثْقَالُ ذَرَّةٍ**) **مِنْ إِيمَانٍ إِلا قَبَضَتْهُ»**.

وقوله ﷺ: «يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله» وفيه إشارة إلى أن دمشق معترك جهاد المؤمنين وساحة قتال المجاهدين إلى يوم القيامة. ويأتي ذلك واضحاً جلياً في الحديث الذي رواه الإمام أحمد (17470) وأبو داود (4640) وغيرهما واللفظ لأحمد، بإسناد صحيح بطرقه وشواهده من طريق عبد الرحمٰن بن جُبير بن نُفير، عن أبيه، قال:

حدثنا أصحاب محمد ﷺ، أن رسولَ الله ﷺ قال: **«ستُفْتَحُ عليكم الشام، فإذا خُيِّرتُم المنازل فيها، فعليكم بمدينة يُقال لها دمشقُ، فإنها معقلُ المسلمين من الملاحم، وفسطاطها منها بأرض يُقال لها: الغُوطَةُ»**.

- **وروى** الإمام أحمد (21725) وأبو داود (4298) والطبراني في «مسند الشاميين» (589)، بإسناد صحيح، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه؛ أن رسولَ الله ﷺ قال:

«فُسطاطُ المسلمينَ يوم الملحمةِ، الغُوطَةُ، إلى جانب مدينة يقال لها: دمشق» لفظ أحمد.

والفسطاط: الخيمة تنصب للجند على أطراف ساحات القتال.

- وروى الإمام أحمد (23985) وابن منده في «الإيمان» (1000) والطبراني في «الكبير» (18/ 71)، وغيرهم بإسناد صحيح على شرط مسلم من حديث عَوْف بن مالك الأَشجعي رضي الله عنه قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ فسَلَّمتُ عليه فقال: «عَوْفٌ؟» فقلتُ: نعم، فقال: «ادخُلْ» قال: قلتُ: كُلِّي أو بَعْضي؟ قال: «بَلْ كُلُّكَ» قال: «اعدُدْ يا عوفُ سِتّاً بينَ يَدَي السَّاعةِ: أَوَّلُهنَّ مَوْتي» قال: فاستَبْكيتُ حتى جعل رسول الله ﷺ يُسكِّتُني، قال: قلتُ: إحدى «والثانيةُ فَتْحُ بيتِ المَقدِسِ» قلتُ: اثنين «والثالثةُ مَوَتانٌ يكونُ في أُمَّتي يَأخذُهم مِثلُ قُعَاصِ الغَنم، قُلْ: ثلاثةً، والرابعةُ فِتْنةٌ تكونُ في أُمَّتي ـ وعَظَّمَها ـ قُلْ: أربعاً، والخامسةُ يَفِيضُ المالُ فيكم حتى إنَّ الرَّجلَ لَيُعْطى المئةَ دينارٍ فيَتَسخَّطُها، قُلْ: خمساً، والسادسةُ هُدْنةٌ تكونُ بَينكم وبينَ بَني الأَصفَرِ فيَسِيرونَ إليكُم على ثَمانينَ غايَةً» قلتُ: وما الغايةُ؟ قال: «الرايةُ، تحتَ كُلِّ راية اثنا عَشَرَ أَلفاً، فُسْطاطُ المسلمينَ يومئذٍ في أرضٍ يُقال لها: الغوطة، في مدينة يُقال لها، دمشق» لفظ أحمد. وسيأتي.

وقوله ﷺ: «بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس» أي ما يلتفت حول بيت المقدس من بلدات وقرى. وفيه فضيلة بارزة لبيت المقدس مسرى رسول الله ﷺ وأولى القبلتين، وثالث الحرمين، وهو من المساجد التي تُشدُّ إليها الرحال، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ وذلك فيما رواه البخاري (1189) ومسلم (1397) وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجدِ الأقصى» لفظ مسلم.